كل من دخل عليه، ويخبره بما هو عليه. فأمر الشيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الكريم الأغماتي أهله أن يَحْجِبوه. فأقام سنةً ثم صحَّ وخرج إلى الناس، وصار يذكر ما جرى له من ذلك وفيه عجائب. منها أنه رأى صوراً علوية وجوههم مضيئة تكلّموا بعلوم جمة تتعلق بمعاني القرآن بأساليب بديعة. قال: ثم هجم عليّ جماعة في صور مفزِّعة فذكر كلاماً طويلاً. وله مصنفات منها «التلخيص في الحساب» في سفر، وكتاب في «الأوفاق»، وكتاب في «الأنواء» وغير ذلك[١]. واستمرّ ببلده يفيد الناس إلى أن (مات) سنة ٧٢١ إحدى وعشرين وسبعمائة[٢].

٦٧

(أحمدُ بن مُحمَّد بن حَجَر الوائلي السَّعدي الهَيْثَميّ)[٣]

المِصْريّ ثم المكِّي، ولد سنة ٩٠٩ تسع وتسعمائة، ونشأ ببلده، وحفظ القرآن. ثم انتقل إلى مصر فحفظ مختصراتٍ، وقرأ على الشيخ عمارة المصري، والرملي، وأبي الحسن البكري، وغيرهم. وبرع في جميع العلوم، خصوصاً فقه الشافعي، وصنّف التصانيف الحسنة. ثم انتقل من مصر إلى مكة المشرفة؛ وسبب انتقاله أنه اختصر «الروض» للمقري، وشرع في شرحه، فأخذه بعض الحسَّاد وفتَّته، وأعدمه، فعظم عليه الأمر، واشتد حزنه، وانتقل إلى مكة، وصنّف بها الكتب المفيدة، منها (الأمداد) و(فتح الجواد) شرحاً على (الإرشاد) الأول بسيط؛ والثاني مختصر، و(تحفة المحتاج شرح المنهاج) و(الصواعق المحرقة) و(شرح الهمزية) و(شرح العباب). وكان زاهداً متقللاً على طريقة السلف، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. واستمر على ذلك حتى (مات) في سنة ٩٧٣ ثلاثٍ وسبعين وتسعمائة.

٦٨

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن إبراهيم بن أبي نصر مُحمَّد بن عَرَب شَاه)[٤]

الدّمشقي الأصل، الرُّوميّ الحنفيّ، ويُعرف بالعجمي، وبابن عَرَب شَاه وهو

(١) من آثاره أيضاً: «اللوازم العقلية في مدارك العلوم»، و«الروض المربع في صناعة البديع»، و«منتهى السول في علم الأصول»، و«الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة»، (معجم المؤلفين: ٢/ ١٢٦).

(٢) وفي رواية: توفي سنة ٧٢٤هـ. (٣) ترجمته في: كشف الظنون: ١٠٨٣.

(٤) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ٢٨٠؛ الضوء اللامع: ٢/ ١٢٦؛ الأعلام: ١/ ٢٢٨؛ تاريخ=

الأكثر. وليس هو بقريبٍ لداود وصالح ابني مُحمَّد بن عَرَب شَاه الهمذانيين الأصل، الدمشقيين الحنفيين. ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بدمشق، ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عُمر بن اللبان المقري. ثم تحول في سنة ثلاثٍ وثمانمائة في زمن الفتنة مع إخوته وأمهم وابن أخته عبد الرَّحمن بن إبراهيم بن حولان إلى سمرقند. ثم بمفرده إلى بلاد الخطا، وأقام ببلاد ما وراء النهر مديماً للاشتغال والأخذ عَمَّن هناك من الأستاذين، فكان منهم السيد مُحمَّد الجَرْجَاني، وابن الجزري، وهما نزيلا سَمرْقَنْد، وعصام الدين ابن العلَّامة عبد الملك، وجماعة. ولقي بِسَمَرْقَنْد الشيخ العَرْيَان الأدهمي الذي استفيض هنالك أنه ابن ثلاثمائة وخمسين سنة. وبرع في الفنون، ثم توجه إلى خُوارِزْم، فأخذ عن نور اللَّه، وأحمد بن شمس الأئمة. ثم إلى بلاد الدشت، وتلك النواحي. ثم قطع بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان، فأقام بها نحو عشر سنين، وترجم فيها للملك غياث الدين أبي الفتح مُحمَّد بن أبي يزيد مُراد بن عثمان كتاب (جامع الحكايات ولامع الروايات) من الفارسي بالتركي نظماً. وباشر عنده ديوان الإنشاء وكتب عنه إلى ملوك الأطراف عربياً وشامياً وتركياً ومغولياً وعجمياً، كل ذلك مع حرصه على الاستفادة بحيث قرأ المفتاح على البرهان الحوافي، وأخذ عنه العربية أيضاً. فلما مات ابن عثمان رجع إلى وطنه القديم فدخل حلب، فأقام بها نحو ثلاث سنين، ثم الشام. وكان دخوله إليها في جمادى الآخرة سنة (٨٢٥) فجلس بحانوت مسجد القصب، مع شهوده يسيراً لكون معظم أوقاته الانعزال عن الناس، وقرأ بها على القاضي شهاب الدين الحنبلي «صحيح مسلم» في سنة (٨٣٠). فلما قدم العلاء البخاري سنة (٨٣٢) مع الركب الشامي من الحجاز، انقطع إليه ولازمه في الفقه والأصلين والمعاني والبيان والتصوف وغير ذلك، حتى مات. وتقدم في غالب العلوم، وأنشأ النظم الفائق، والنثر الرائق، وصنف نظماً ونثراً. ومن تصانيفه (مرآة الأدب) في علم المعاني والبيان والبديع، سلك فيه أسلوباً بديعاً نظم فيه التلخيص عمله قصائد غزلية، كل باب منه قصيدة مفردة على قافية، ومقدمة في النحو و(عقود النصيحة) والرسالة المسماة (العقد الفريد) في التوحيد. وهو مؤلف تاريخ تيمور، وسماه (عجائب المقدور في نوائب تيمور) وفيه بلاغة فائقة، وسجعات رائقة. وله (فاكهة الخلفاء) و(مفاكهة الظرفاء) و(الترجمان المترجم بمنتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب). وأشير إليه بالفضيلة، وأجلَّه الأكابر، وكان أحد الأفراد في إجادة النظم والنثر، ومعرفة اللغات، والمجيء بالمستظرفات، وإجادة الخط وإتقان الضبط، وعذوبة الكلام، وملاحة

= الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٨٥٤؛ كشف الظنون: ٣٩٧، ٧١٤، ١١٥٢؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٧٨؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٢٢.

المحاضرة، وكثرة التودد، ومزيد التواضع، وعفة النفس، ووفور العقل. واستمرّ على جميل أوصافه حتى (مات) في يوم الاثنين منتصف شهر رجب سنة ٨٥٤ أربع وخمسين وثمانمائة. وجرت له محنة من (الظاهر جقمق) شكا إليه حميد الدين فأدخله سجن أهل الجرائم، فدام فيه خمسة أيام، ثم أُخرج واستمرَّ مريضاً من القهر حتى مات بعد اثني عشر يوماً. ومن نظمه: [من المتقارب]

قَميصٌ من القُطْنِ مِنْ حِلِّه ... وَشَرْبةُ ماءٍ قراحٍ وقُوتْ[1]
ينالُ بها المرءُ ما يَبتغي ... وَهذا كثيرٌ على مَنْ يَمُوتْ

ومن نظمه: [من الوافر]

فَعِشْ ما شِئْتَ في الدُّنيا وأَدرِكْ ... بِها ما شِئْتَ مِنْ صِيتٍ وصَوْتِ
فَحبلُ العيشِ مَوْصُولٌ بِقَطعٍ ... وَخَيْطُ العُمْر مَقْصُوصٌ بِمَوْتِ

وله: [من الطويل]

وما الدهرُ إلَّا سُلَّمٌ فَبِقَدْرِ ما ... يَكُونُ صُعودُ المَرْءِ فِيهِ هُبوطُه
وهَيْهاتَ ما فيهِ نزولٌ وإِنَّما ... شُروط الذي يَرْقَى إليه سُقوطُه
فَمنْ صَار أعلى كانَ أوفَى تَهشُّماً ... وَفاء بما قامتْ عَليْه شُروطُه[2]

و(حكى السخاوي) أنه أُسِر مع تيمورلنك، ونقل إلى سَمرْقَنْد، ثم خرج منها في سنة إحدى عشرة، وجال ببلاد الشرق، ورجع إلى دمشق. وقد جرى بينه وبين البرهان الباعوني المقدم ذكره مطارحات؛ منها أن البرهان كتب إليه بستة أبيات التزم فيها قافية الظاء المشالة أولها: [من الوافر]

أأحمدُ لم تَكُنْ واللَّه فَظّا ... ولَكِنْ لا أرى لِي مِنْكَ حَظّا

واستوفى كثيراً من اللغة، فحصل لصاحب الترجمة ستة أبيات أخرى قبل نظره في كتب اللغة، فعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته. ثم كتب إليه بأبيات التزم فيها الراء قبل الألف والراء بعدها، أولها: [من مجزوء الرمل]

مَنْ مُجيري مِنْ ظَلُومٍ ... مِنْهُ أبعدتُ فِرارا

واستوفى ما في الباب، فكتب إليه صاحب الترجمة قصيدة بغدادية، فلم يقدر على الجواب بمثلها وكتب إليه بقوله: [من مجزوء الرمل]

يا شِهابَ الدين يا ... أحمدُ يابن عَرَب شَاه

(١) ماءٌ قراح: خالصٌ، عذبٌ صافٍ.
(٢) التَّهشُّمُ: التَّكَسُّرُ.

واستوفى القافية، فظفر صاحب الترجمة بأشياء تركها فكتب إليه: [من مجزوء الرمل]

قَـدْ أتـى الـفَـضْـلُ عَـلـيْـه حُـلَـلُ الـلَّـفْـظِ مُـوشَّـاه[1]

فتعجب البرهان من سعة دائرته واطلاعه، ثم قال له: أنا واللَّه ما عرفتك إلّا الآن. فقال له: واللَّه وإلى الآن ما عرفتني. وطالت المكاتبة بينهما على هذا المنوال حتى اجتمع من ذلك مجلد.

٦٩

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عبد الهادي ابن صَالح بن عبد اللَّه بن أحمد قَاطِن)

الحبابيّ ثم الثلائيّ ثم الكَوْكَبانيّ ثم الصّنعاني. كان مولده ليلة أربع عشرة محرم سنة ١١١٨ ثماني عشرة ومائة وألف. قرأ في مدينة شبام وحصن كوكبان، وتكسّب بالتجارة في مبادئ عمره بشبام، مع اشتغاله بالعلم وإكبابه على الفنون. ثم أخذ في صنعاء عن السيد العلَّامة هاشم بن يَحْيَى الشامي، والسيد العلَّامة صَلاح بن الحُسين الأخفش، والسيد العلَّامة أحمد بن عبد الرَّحمن الشامي، وطالت ملازمته للثالث، وقرأ عليه في عدة فنون، وبقي في بيته سنين. فعاونه عند الإمام المنصور باللَّه الحُسين بن القاسم بن حُسين ابن الإمام المهدي. وكان السيد المذكور إذ ذاك مُتولِّياً للقضاء الأكبر بصنعاء. فَولَّى صاحب الترجمة القضاء، وجعله من جملة حكامها، فاتفقت حادثة كان بسببها عزل صاحب الترجمة، مع أن الحق معه. ثم لمّا كانت خلافة الإمام المهدي لدين اللَّه العبَّاس بن الحُسين ولّاه القضاء بمدينة ثلاء. ثم جعل إليه ولاية الأوقاف، ثم بعد ذلك اعتقله، وحصلت له مِحَن، وخرب بيته في ثلاء بسبب أن السيد العلَّامة قاسِم بن مُحمّد الكَبسي احتسب عليه إذ ذاك أنه عمره فوق مقبرة. ثم عوّضه اللَّه، فملكه الإمام المهدي داراً عظيمة بصنعاء. وبها أولاده الآن وسائر أهله. ثم بعد اعتقاله حجّ، وبعد أيام ولَّاه الإمام المهدي القضاء الأكبر بمدينة صنعاء واستمر أياماً، وحُمدت مباشرته مع اشتهاره بالعفة والنزاهة وعدم المحاباة في شيء من الأمور، لا لصغير ولا لِكبير. وكان يُكثر الحطَّ والإنكارَ على بعض المتعلقين بأعمال الإمام المهدي، كالفقيه علي الجرافي ومن يشابهه، فما زالوا بالإمام المهدي حتى اعتقله قبل موته بنحو عام. ثم استمر محبوساً إلى أيام مولانا الإمام

(١) مُوَشًّى: مُزَيَّن.